مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 364- 373

بَلاَغَةُ البِنْيَةِ الدّلاليّة فِي التَّعْبِيرِ القُرْآنِيّ

The eloquence of the semantic structure in Qur'anic expression

فاتح مرزوق *

المركز الجامعيّ عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة/ الجزائر.

f.merzouk@centre-univ-mila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/02/17
تاريخ القبول:
2022/12/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التّعبير.
- ✓ البنية.
- ✓ الدّلالة.

الملخص

يتناول هذا البحث جانبا أساسا في الدّرس اللّغويّ عموما والدّرس البلاغيّ خصوصا، وبخاصّة إذا تعلّق الأمر بالتّعبير القرآنيّ، الّذي ينماز ويتماز بدّقة التّركيب، وجمالية الأسلوب، وبناء النّظم، غير أنّ البنية تتنوّع بحسب المستويات اللّغويّة؛ فمنهما ما يختصّ بالتّركيب/ النّحو، ومنها ما يختصّ بالصّرف، وهنا سنركّز على المستوى الدّلاليّ، الذي في حقيقته يبنى على التّراكيب النّحويّة وتعاليقها، وكذا الصّيغ/ الأبنيّة الصّرفيّة ومدلولاتها؛ لأنّ التّركيب يشحن بمعاني تُبين عن المقصد المنشود منه، أمّا الصّيغ فهي مشحونة بمعان تبرز سرائرها ومكنوناتها، ولولا هذه الفوارق لما تبيّن الإعجاز في التّعبير القرآني عامّة، والنّظم خاصّة وما يدلّ على ذلك، ما أعجز وعجّز به النّظم القرآنيّ فصحاء العرب وفطاحلتها.

Article info

Received *17/02/2022*
Accepted *26/12/2022*

Abstract :

This research deals mainly with the linguistic lesson in general and the rhetorical lesson in particular, especially when it comes to Quranic expression, which is characterized by the accuracy of structure, the

*المؤلف المرسل

aesthetics of style, and the construction of systems. However, the structure varies according to the linguistic levels; Some of them are related to syntax, and some are related to morphology, and here we will focus on the semantic level, which in fact is built on grammatical structures and their comments, as well as Forms/morphological structures and their implications; Because the syntax is loaded with meanings that show the intended purpose of it, as for the formulas, they are charged with meanings that highlight their secrets and their secrets, and if it were not for these differences, the miracles in the Qur'anic expression in general, and the systems in particular, and evidence of this, what is inaccurate and impotent in the Qur'anic systems and their clarity is clear

Keywords:
- ✓ *Expression*
- ✓ *Structure*
- ✓ *indication*

مقدّمة:

الحمد للّه الّذي شرّفنا بدراسة لغة القرآن الكريم، وخدمته في ما يجعل لغته سراجاً منيراً للآخرين، لغة أعجز بها اللّه عزّ وجلّ مصاقع الخطباء وفطاحلة الشّعر، وجهابذة البلاغة فكانت الحجّة الصّاعقة، والبرهان المستنير كلّ من قرأها زادت حلاوة في لسانه ومن غاص فيها أضحت طلاوة في كتاباته ومن تضلّع فيها أمسى سيّدا وفارسا من فرسان البلاغة وأولي الفصاحة والغرضُ من ذلك خدمة القرآن الكريم وإبانة سرائر نظمه، وجزالة لفظه، ورصانة أسلوبه؛ فشمل الإيجاز بلفظ قليل ساطع المعنى، كما رقى بتركيبه النّحويّ وإبانة دلالته وتطويع صيغه فنتجت البُنى النّحويّة، والبُنى الصّرفيّة، والبُنى الدّلاليّة، وهذه الأخير محلّ دراستنا هذه البنية التي دوّخت العرب قاطبة حيث ترى آية تشمل على تركيب عجيب، فإذا درست التّركيب ذاته تفتأ تجد تحمل مدلولا آخر، وكأنّه غير التّركيب الّذي قد ورد كيف لا والقرآن معجز بألفاظه ومعانيه وحروفه.

والحقيق بالذّكر أنّ القرآن يَمِيزُ بأسلوب مُحْكم غير الأسلوب الّذي عهدته العرب في كلامها؛ حتّى إنّ فصحاء العرب وجَهَابِذَتِهم ما اسْطَاعُوا أن يأتوا بمثله ولو آية؛ فهو كتاب نظم بأروع أسلوب وأتقن أحست إتقان وسبك بأنصع تركيب وبُنِيَ بناءً محكماً دَوَّخَ عرب العالمين قاطبة؛ حتّى أخذ بهم الأمر لأَنْ يقول قائلاً منهم:"... والله إنّ عليه لحلاوة وإنّ له لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لَمُغدق".

ومن هذا المنطلق نروم الإجابةَ عن الإشكالية الآتية: **إلى أيّ مدى أَسْهَمَت البنية الدّلاليّة في بيان بلاغة التّعبير القرآنيّ؟**

2.مفهوم البّنية بين اللّغويّ والاصطلاحيّ:

1.2.البِنْيَة لغةً: وردت في لسان العرب لابن منظور من الجذر (بنى) حيث يقول: "بنى البنّاء بنيا وبناء وبنًى، مقصور، وبنيانا وبنية، وبناية والبناء: المبنيّ، والجمع أبنية، وأَبْنِيات جمع الجمع والبِنْية والبُنية ما بنيته وهو البِنى والبُنى يقال: بنية وهي رِشوة ورِشا كأن البنية الهيئة الّتي بني عليها مثل: المِشية والرّكبة والبنيان: الحائط"[1]

فالبيّن من قول ابن منظور أنّ (البنية) هي الطّريقة والهيئة السّليمة سواء تعلّق الأمر بالنّظم أم الجلسة. وهلمّ جرى من ذلك. المهمّ أن تكون الهيئة سويّة.

وإنّ المتتبّع لنصوص التّنزيل يجد أنّ كلمة (بنية) لم ترد بهذا اللّفظ وإنّما وردت بصيغ أخرى مثل: (بناء) وردت ثلاث مرّات في السّور الآتية:

- سورة ص: ﴿ ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿ ص: 37؛
- سورة غافر: ﴿ ﴾ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴿ غافر: 46

كما وردت بصيغة الفعل متّصلة بضمير المفعول (بناها):

- سورة النّازعات: ﴿ ﴾أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴿ النّازعات: 27؛
- سورة الشّمس: ﴿ ﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿ الشّمس: 05.

ووردت بصيغة (بنيان) مرّة واحدة:

- سورة الصّف: ﴿ ﴾ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿ الصف.

ووردت بصيغة (مبنيّة) مرّة واحدة:

-سورة الزّمر: ﴿﴾ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴿ الزمر: 20

فالّذي يمعن النّظر في الآيات يلحظ أنّ لفظة (بينة) منعدمة؛ ولكنّها وردت بصيغ أخرى، وهذا يدلّ على أنّ قلّة استعمالها يدلّ على طريقة ندرتها في الاستعمال كما أنّ الإتيان بها ليس بالأمر الهيّن أبدا؛ وهنا يأخذ بنا الأمر إلى ما ذهب إليه الجرجاني في نظم القرآن الكريم؛ أي: أنّ نظم القرآن مستحيل الإتيان بمثله؛ حتّى وإن اجتمعت الإنس والجنّ أجمعين أكتعين ما استطاعوا.

2.2.**البنية اصطلاحاً**: تدلّ في الاصطلاح على أنّها: "نسق يتحدّد العنصر ضمنه بوضعيات واختلافات"[2] أو هي: "منظومة من علاقات وقواعد تراكيب ومبادلة تربط بين مختلف حدود المجموعة الواحدة، بحيث تعين هذه العلاقات وهذه القواعد معنى كلّ عنصر من العناصر"[3].

ونستخلص من التّعريفين أنّ البنية هي: الرّصف المحكم الرّصين الّذي تتشكّل منه أسلوب أيّ خطاب، فيجعله يميز بأسلوب دون آخر باختلاف أنواع البنيات: النحويّة والصّرفيّة والدّلاليّة.

3. مفهومُ التَّعْبيرِ القُرْآنيّ: ولما كانت دراستنا تتناول موضوع البنية في الأداء القرآنيّ فمن المفترض بنا أن نعرّج إلى الحديث عن التّعبير القرآن الكريم الّذي هو مدار بحثنا.

إذاً التّعبير القرآنيّ: هو الأسلوب الّذي انفرد به هذا الكتاب الرّبانيّ العظيم الّذي هو كلام الله سبحانه وتعالى، هذا الأسلوب لم يكن مناط تفرّده بأنّه جاء على غير ما اعتادت العرب في كلامها بل إنّ القرآن الكريم جاء على ما اعتادت العرب في أساليب الكلام المختلفة، غير أنّه؛ أي: الأسلوب القرآنيّ اختلف عن طريقة العرب في كلامها وأساليبها بأنْ جاء معجزًا في طريقة نظمه للكلام. ومن هنا كان أسلوب القرآن الكريم متميّزًا[4].

ونحسب أنّ الأسلوب هو موطن التّحدّي الّذي أتى به القرآن الكريم في أكثر من موضع فيه حيث تحدّى الله سبحانه وتعالى المشركين والعرب كافّة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ حيث قال سبحانه :ﭽ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﭼ [الطور: 33 – 34]

ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر عجز هؤلاء المتقوّلين على النّبي الكريم فبعد أن عجزوا عن الإتيان بكتاب يشبه القرآن الكريم في طريقة نظمه؛ أعجزهم الله بعشر سور، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور من مثل سور القرآن، تحدّاهم الله سبحانه بسورة واحدة، وذلك كي يبيّن الله سبحانه وتعالى عجز هؤلاء المفترين، وعدم مقدرته؛ حتّى على المجيء بسورة واحدة من مثل سور القرآن، يقول الله سبحانه وتعالى: ﭽأَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَﭼ [يونس: 38]

فهذا التّحدّيّ لا يتعلّق فقط بالمجيء بكلام أدبيّ فنّيّ منظوم أو منثور؛ لأنّ من العرب من حاول تقليد أسلوب القرآن من حيث طريقة الكلام الأدبيّ، والتّوزيع الموسيقيّ، وإنّما كان التّحدّي الأكبر يتمثّل بالمجيء بكلام يشمل على الأسلوب القرآنيّ نفسه، أو أسلوبًا شبيهًا به؛ فالعجز كان متمثلاً في تقليد طريقة القرآن في نَظْمِ الكلام، وهو الأسلوب الّذي يَمِيزُ به القرآن الكريم عن سائر النّصوص اللّغويّة الأخرى.

4. مَفْهُومُ الدَّلاَلَةِ اصطلاحاً: يعرّفه بعضهم بأنّه" دراسة المعنى" أو العلم الّذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة، الّذي يتناول نظريّة المعنى" أو ذلك الفرع الّذي يدرس الشّروط الواجب توافرُها في الرّمز؛ حتّى يكون قادرا على حمل المعنى"[5]. ومِنْ ثَمَّ تكون الدّلالة دراسة المعنى المقصود والمنشود مع مراعاة الظّروف ومقتضى الحال الّذي ورد فيه.

كما يقصد بالدَّلالة الفروقات اللّغويّة الّتي ترد في سياقات مختلفة، وهي النّظرة الّتي نظر إليها العلماء القدماء في العربيّة؛ حيث يقول أبو هلال العسكريّ وهو يعرّف الدّلالة بقوله:" لئن أشبهتها بأمر إنّها لتختلف معها في أمور، وهو ما يُسمّى: بالتّعريف السَّلبيّ أو التّعريف بالخلف، وغايته أن يحصر مجال التّقاطعات بين الدّلالة وما يشبه الدّلالة ويشابهها في بعض الوجوه كالدّليل والشّبهة والأمارة والعلامة والاستدلال...إنّ الدّلالة تتكوّن من أربعة أوجه: الوجه الأوّل: ما يمكن أن يستدلّ به قصد فاعله ذلك أم لم يقصد والثّاني هو العبارة عن الدّلالة للمسؤول: أعد دلالتك والثّالث الشّبهة يقال: دلالة المخالف؛ أي: شبهته، أمّا الرّابع الأمارات: يقول الفقهاء: الدّلالة من القياس كذا والدّليل فاعل الدّلالة، ولهذا يقال لمن يتقدّم القوم في الطّريق الدّليل؛ إذا كان يفعل من التّقدّم ما يستدلّون به، وقد تسمّى الدّلالة دليل مجاز"[6]. الواضح من أبي هلال العسكريّ أنّه عرّف الدّلالة بحسب المصطلحات والمعنى.

5. علاقة البنية الدّلاليّة بالنّظم/ النّحو البلاغيّ: هناك علاقةٌ متينة بين البنية الدّلاليّة الّتي تهتمّ بدراسة المعنى أو معاني الألفاظ حسب السّياقات الواردة فيها وما بين نظريّة النّظم أو النّحو البلاغيّ، والّذي أقصد به: ذلك النّسق والتّرابط بين التّركيب والمعنى المنشود منه؛ لذا فقد استدرك عبد القاهر الجرجانيّ علاقة النّحو بالبلاغة؛ أي أنّ التّراكيب تدلّ على معان مشحونة بدلالة قويّة؛ بحيث عندما تركّب جملة سيكون مفادها الدّلالة على معنى من

ورائه؛ لذا فقد عرّف الجرجاني النّظم بقوله:" تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض"[7]. ويظهر من خلال قول عبد القاهر الجرجانيّ أنّ النّظم يقوم على رصف الكلمات والحروف لتدلّ على معنى؛ فالتّركيب لا يكون له غرض إذا كان عبثاً لا بدّ أن يكون محكما. وحينئذ يحسن أسلوبه ويتلاءم نظمه ويشتدّ مقصده. وهذا قائم على أساس النّحو؛ حيث يقول عبد القاهر الجرجانيّ: "واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو..."[8].

وجدير بالذّكر أنّ النّظم النّاتج من ازدواجية النّحو والبلاغة أدّت إلى بيان قيمة بيان التّعبير القرآنيّ ومن بعد ذلك إعجاز نظم القرآن الكريم، وهذا ما دلّ عليه الباقلانيّ بقوله: "وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه الّتي قدمنا ذكرها، على حدٍّ واحد، في حسن النّظم وبديع التّأليف والصرف"[9]. وقال أيضا:" ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنّما هو في نظمها وإحكام رصفها"[10].

6.بلاغة البنية الدّلاليّة في التّعبير القرآنيّ: عندما نتحدّث عن بلاغة البنية الدّلاليّة فإنّنا نقصد بها المعاني المقصودة والدّلالات المنشودة من بُنَى أخرى تحويها؛ بحيث تنتج لنا معنى بتضام هذه البُنى وهي: (الدّلالة النّحويّة، الدّلالة الصّوتيّة، الدّلالة الصّرفيّة) فإنّ الدّلالة تكتسي المعنى الفصيح والصّحيح عندما تلج هذه البُنى داخل سياق معيّن. وذلك إيماناً منّا بأنّ النّحو إنّما يدلّ على وظائف من خلال الحركات الإعرابيّة الّتي تَعْتَوِر الجملة، وكذا الأمر منوط بالصّوت؛ حيث إنّ الصّوت يدلّ على معنى؛ فالصفير شيء والإطباق شيء وهلمّ جرى والشّيء ذاته للّصرف من حيث المشتقّات والصّيغ فكلّها تبين عن دلالات تَشْمَلُها البنية الدّلاليّة.

1.6 . بَلاَغَةُ الدَّلاَلَةِ النَّحْوِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ القُرْآنِيّ: من المعلوم أنّ النّحو من أساسيّات علوم اللّغة الّتي بها تقام الألسن بها، والنّحو في أساسه يقوم على الحركات الإعرابيّة الّتي تدل على وظائف إبلاغيّة تبلغيّة من خلالها يتمّ التواصل والتّفاعل بين بني البشر، هذا إذا تعلّق الأمر بالكلام العاديّ فما بالك إذا كان جانب التّبليغ منوط بالتّعبير القرآنيّ، هذا التّعبير الرّصين، والأسلوب المحكم، فقد اكتسى واكتسب هذه الرّصانة والإحكام من طريقة نظمه، والّتي هي توخّي معاني النّحو في الأساس. ومن قضايا النّحو الّتي لها دلالة مبحث التّقديم والتّأخير، وقد أشار إليه ابن الأثير: حيث يقول: " وأمّا الثّانيّ وهو تأخير الظّرف وتقديمه في النّفي فنحوُ قوله تعالى﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: [الآية 1- 2] وقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ الصّافات:[الآية 78] فإنّه إنّما أخّر الظّرف في الأوّل؛ لأنّ الدّلالة في إيلاء حرف النّفي الرّيب نفي الرّيب عنه، وإثبات أنّه أحقّ وصدق، لا باطل وكذب كما كان المشركون يدّعونه، ولو قدّم الظّرف لدلالة أنّ كتابا آخر فيه الرّيب لا فيه، فتأخير الظّرف يقتضي النّفي أصلا من غير تفضيل، وتقديمه يقتضي تفضيل المنفيّ عنه، وهو خمر الجنّة على غيرها من خمر الدّنيا [11] "فدلالة التّقديم والتّأخير باب دقيق المسلك؛ كونه يراعي طرفين من عناصر التّخاطب عنصر المتكلّم وعنصر السّامع؛ والمتكلّم لا بدّ أن يراعي لذهنية السّامع؛ وبخاصّة إذا كانا من طبقة واحدة من البلاغة؛ لأنّه إذا قدّم في غير موضع فسوف يخلّ باللّفظ المقصود ومن ثَمّ لن يرد إلى المعنى المنشود؛ ومن بعد ذلك ستتهلهل الوظيفة الإبلاغيّة. وهذا ما سماه ابن الأثير:

(المعاضلة المعنويّة) حيث يقول: "فهو أن يقدّم ما الأولى به التّأخير؛ لأنّ المعنى يختلّ ويضطرب وهذا هو المعاضلة المعنوية"[12].

كما التمس العلماء دلالات وأغراض بيانيّة للتّقديم والتّأخير وهي ليست بعيدةً من التّخصيص وهو "الحصر" كقوله تعالى:﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ هود: [الآية 91] فتقديم الجار والمجرور [علينا] له أهمّية عند المتكلّم، بَلْه قصدَ تقرير الصّواب وردّ خطئه، وقد بيّن الشّريف الجرجانيّ الفارق بين دلالة التّخصيص والحصر بقوله:" وذلك لأنّ التّقديم إنّما اقتضى الحصر بناءً على ما ذكر من أنّ التّقديم يدلّ على أنّ المخاطب قد أصاب الحكم، وأخطأ في قيد من قيوده، فصار ذلك القيد أهمّ عند المتكلّم فقدّمه في الذّكر قاصدا بذلك تقرير صوابه ورد خطئه"[13]. فالظّاهر من دلالة البنية النّحويّة كتركيب جامع لرصف كلمة مع كلمة يؤدّي وظيفة وبلاغة دلاليّة يفهم بها المتكلّم سامعه.

6. 2. بَلاَغَةَ الدَّلاَلَةِ التَّرَادُفِيَّة فِي التَّعْبِيرِ القُرْآنِيّ: وأقصد بها هنا أنّ في القرآن الكريم خلاف في مسألة (التّرادف في القرآن) هل هو وارد أم غير وارد؟ ولكن الّذي يمعن النّظر يلحظ أنّ القرآن الكريم يرد بتعابيرَ عجيبةٍ تجعل المتدبّر في طريقة نظمه مسبوكة محبوكة لا يضاهيها أسلوب قط، ومن القضايا العجيبة في التعبير القرآني والّتي تشدّ انتباه القارئ لكتاب اللّه الفعل (جاء) والفعل (أتى). هذان الفعلان اللّذان برزا في سورة يوسف بنظم دقيق متين مبين، فتارة يستعمل ربُّ العزّة الفعل (جاء) وطورا آخر يستعمل الفعل (أتى) هل الأمر نفسه هذا ما سوف نُبِين عنه في الحين:

لعلّنا إذا خضنا في هذه القضيّة يُطْرقُ نظرنَا إلى قضية التّرادفِ في القرآن؛ فمنهم من رأى أنّه لا ترادف في القرآن، وهناك من توّجه غير ذلك، لكن سنحكم على ما ورد في هذه القضيّة من خلال ما ورد في إعجازها البيانيّ؛ فالقرآن استعمل لفظة [جاء] لأنها تدلّ على شدّة الفعل وعظمته، أضف إلى أنّها تدلّ على الثّقل، يقول (محمد نور الدين المنجد): "بما فيها من ثقل المد وإطالة الصّوت به"[14].

وما دام أنّ بنيتها الدّلاليّة تدلّ على شدّة الثّقل نلمح أنّها لم ترد بصيغة المضارع في القرآن الكريم عكس لفظة (أتى) فقد وردت بصيغ أخرى (أمر وماضٍ ومضارعٍ) فالأمر ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود: [الآية 13] والماضي ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل:[الآية 1] والمضارع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ﴾ البقرة: [الآية 258].

وممّا نخلص إليه أن الفعل (أتى) تأتي للأمور المعنويّة اللّينة الحميدة الّتي تفهم من سياق النّص القرآنيّ، ولعلّ خفتها في الحروف المهموسة جعلها ترد بصيغ الأمر والماضي والمضارع.

لفظة: (أتى)= أمر (فأتوا)⇦ وردت في 10 مواضع.

= ماض (أتى)⇦ وردت في 06 مواضع.

= مضارع (يأتي)⇦ وردت في 22 موضعا.

هذا ما خصّ بلفظة (أتى) في القرآن كلّه وسأحاول أن أعرض لفظة (أتى) في سورة يوسف عليه السّلام من خلال تقصّي أثر البنية الدّلاليّة للكلمة:

فعل الأمر: چ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِچ تبيّن براءة يوسف عليه السّلام.

چوَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُچ تبيّن رفعة يوسف عليه السّلام.

چ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْچ عاطفة أخويّة.

چ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَچ رفع الأبوين على العرش.

يقابله فعل مضارع: چ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ چ.

چ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ چ.

چ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا چ.

ممّا نلحظه في لفظة (أتى) بكلّ أزمنتها وبُناها التّركيبيّة ترد في سياق محمود وخير؛ كما أنّ السّر في هذه اللّفظة وردت دلالتها عكس الفعل (جاء) فالسّورة بدأت بالفعل (جاء) وكلّه يدلّ على خيانة إخوة يوسف، وما أقبلوا عليه من أمر شنيع وما فعليته امرأة العزيز (زليخة):

– فكان **الإتيان** براءة لسيّدنا يوسف عليه السّلام، فالملك عبد العزيز طلب بإتيان يوسف -عليه السّلام- بالمرّة الأولى فظهرت براءته وخير دليل على ذلك قول امرأة العزيزچ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ چ يوسف: [الآية51].

– وطلب **إتيانه** للمرّة الثّانية: فعظمت وسَمَت رفعته بعدما شروه بثمن بَخْس وأدخلوه السّجن فمُكِّن له في الأرض من لَدُن مَنْ أحْسَن مثواه چقَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ چ يوسف: [الآية 54]

هذا بخصوص بلفظة (أتى) ودلالتها بحسب السّياق الّذي وردت، والآن سنلقي مجهرا على لفظة (جاء) والدّور الّذي أبرزته في سياق الحديث عن تطوّر مسار يوسف عليه السّلام، وإخوته من الكيد إلى أنّ كشف قناع الرُّؤيا؛ فسيدنا يوسف عليه السّلام رأى إخوته في قوله:چإِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا چ يوسف: [الآية 04] والكواكب: هم إخوة يوسف عليه السّلام، وقد مثلّ القرآن الكريم مجيء بصيغ الجمع والمفرد وفي التعبير عن مجيء السيارة؛ أيْ: القافلة. وقد قلت إن الفعل (جاء) فيه مشقّة ومكيدة كما أنّه يستعمل في المواضع المحسوسة.

إذًا ما نخلص إليه أنّ لفظة (جاء) وما تحمله من مدلول تناسبت مع السّياق الّذي وردت فيه كما أنّ القرآن راعى حتى للسّياق الثّقافيّ الموجود في فلسطين بأرض كنعان؛ حينما قال چ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِچ فقد وردت لفظة (جئنا) لتدلّ على أنّ المعنى الّذي تحمله هذه اللّفظة أمر بشع وشنيع وفاحش يؤدّي إلى السّرقة وأنّ الّذي يسرق فجزاؤه بين ولم يصرّح به سيدنا يوسف عليه السّلام وهو أن يبقى عبدا لمدّة عامين، فما أروع القرآن وأسلوبه ونظمه وتركيبه.

3.6. بَلاَغَةُ الدَّلاَلَةِ الصَّرْفِيّةِ: يتناول علم الصّرف المشتقّات والصّيغ والجموع؛ أيْ: أبنية الكلمة من كلّ جوانبها، ومن المتواتر في القرآن الكريم هذه المشتقّات والصّيغ، فدلالة اسم الفاعل غير دلالة صيغ المبالغة ودلالة اسم المفعول غير دلالة مصدر الهيئة وهكذا، ولنا المثل في القرآن الكريم حيث ورد اسم الفاعل محلّى (بأل) مع وجود الفعل قبله: چقَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ چ [الشّعراء: 136].

ففرق بين الفعل (وعظت) واسم الفاعل (الواعظين) ولم يقل: "أوعظت أم لم تعظ، وذلك "لأنّ المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشرته، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ "[15]. ومن هنا فرّق العلماء بين دلالة اسم والفاعل والصّفة المشبّهة بالحدوث كما قال العبّاديّ" التّفريق بين اسم الفاعل والصّفة المشبّهة قائم على الحدوث وضعاً في اسم الفاعل وعلى الثّبوت وضعا في الصفة المشبهة"[16]. ونشير إلى أنّه ما سُمّيت صفة مشبّهة إلاّ لأنّها شُبّهت باسم الفاعل، وهي من المشتقّات نفسها.

والحقيق بالذّكر أنّ ورود (اسم الفاعل) في القرآن الكريم يدلّ على معنى جليّ في التعبير القرآنيّ وبخاصّة إذا تعلّق الأمر بالقراءات القرآنيّة؛ فقد نجد من القرّاء من يقرأ على وجه والآخر يقرأ على الوجه ولنا مثلا في قوله تعالى:

چ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا چ [فاطر: 01] الملحوظ في الآية هو ورود صيغتي اسم الفاعل (فاطر، جاعل)، وكلاهما مضاف إلى اسم بعده. إلاّ أنّ الضّحاك قرأ (فطر السموات والأرضَ)، وقرأ خُليد بن نُشيط (جَعَلَ الملائكةَ) على صيغة الماضي"[17]. وذهب ابن الحاجب إلى أنّ (فاطر وجاعل) صفتان للمعرف من حيث اللفظ، وأمّا من حيث المعنى فلأنّ ملابسة المضاف للمضاف إليه قد حصلت في الماضي، وهذا دليل على أنّ إضافتهما بمعنى الماضي محضة[18]. وجعل بعض النّحاة (جاعل) بمعنى الماضي ونصب (رسلا) بفعل مقدّر وجعل بعضهم (جاعل) بمعنى الحال أو الاستقبال وعمل في (رسلا)، وقال: إنّ الإضافة غير محضة. والمعنى على أنّ الله فاطر؛ أيْ: خالق لكن يزيد في المعنى الانفراد بالابتداء لخلقها، فهو شاقّها لنزول الأرواح من السّماء، وخروج الأجساد من الأرض"[19].

الخاتمة: تضمّن المقال موضوعا موسوما بـ:(بلاغة البنية الدّلاليّة في التّعبير القرآنيّ) وهو بحث جدير تناول البنية وبلاغتها في التّعبير القرآنيّ وبخاصّة في النّظم الّذي امتاز وانماز به؛ وقد بصرنا من خلاله إلى النّتائج الآتية:

- البنية الدّلاليّة وجه من وجوه الإعجاز في التّعبير القرآنيّ؛
- تنماز البنية الدّلاليّة في التّعبير القرآنيّ بدقّة الأسلوب، وبراعة التّركيب؛
- ترتبط البنية الدّلاليّة بالسّياق، وظروفها، وبخاصّة مقتضى الحال؛
- البينة الدّلاليّة في النّظم القرآنيّ لها سياقاتها، وبلاغتها ترتبط بالإعجاز الدّلاليّ؛
- تتعلّق البينة الدّلاليّة بالمستوى النّحويّ والصّرفيّ؛
- تقوى الدّلالة القرآنيّة بالتّركيب النّحويّ، ودلالة الصّيغ الصّرفيّة؛

– دلالة ترادف الألفاظ في القرآن الكريم تنفي التّرادف؛ كونها ترتبط ارتباطا مباشرا بالمستويات اللّغويّة المختلفة؛ بل إنّ الكلمات تجد لها نفسا من خلال ورودها في السّياق الّذي يقتضيه.

الهوامش:

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (بنى)، ج1، ص258.

[2] - يوسف وغليسي، بحث في البنية اللّغويّة والإصلاح النّقديّ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر، ص12.

[3] - نفسه، ص12.

[4] - عبابنة يحيى عطي 1992 (أثر التّحويلات الأسلوبيّة في تغيير الإعراب في الآيات القرآنيّة والشّواهد الشّعريّة)، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللّغويّات، العدد الحادي عشر، مج1، ص10 .

[5] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص11.

[6] - أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، ط7، بيروت: 1991، دار الآفاق، ص59.

[7] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط3. مصر: 1366هـ، دار المنار، ص38.

[8]- نفسه، ص 38-47- 64.

[9]- محمّد بن الطّيب أبو بكر الباقلاّني، إعجاز القرآن، تح: السّيّد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، ص37.

[10]- محمّد بن الطّيب أبو بكر الباقلاّني، كتاب التّمهيد، تح: يوسف مكارثي اليسوعيّ، د.ط. بيروت: 1957، المكتبة الشّرقيّة، ص 151.

[11] - ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانه ج2، د.ط. القاهرة، دار نهضة مصر، ص219.

[12] - نفسه، ج2، ص219.

[13] - نفسه، ص147.

[14] - محمد نور الدين المنجد، التّرادف في القرآن الكريم بين النّظريّة والتّطبيق، ط6. دمشق: 1417، دار الفكر ص145.

[15] - الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د/ت، ج24 ص 157- فما بعدها.

[16] - أحمد بن قاسم العبادي، رسالة في اسم الفاعل، تح: محمد حسن عواد، ط1،عمان: دار الفرقان، 1983، ص12.

[17] - ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وشلبي، ط2. دار سزكين، 1986م، ج2، ص198.

[18] - ابن الحاجب، كتاب الكافية في النّحو، شرحه: رضي الدين الاستراباذي، بيروت: دار الكتب العلمية 1995، ج1، ص279.

مصادر ومراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، (1999)، لسان العرب، بيروت: ، دار إحياء التّراث العربيّ.

2- مختار عمر، أحمد ، (1998)، علم الدّلالة، القاهرة، عالم الكتب.

3- العسكري، أبو هلال، الفروق اللّغويّة، (1991)، بيروت ، دار الآفاق.

4- الجرجاني، عبد القاهر ،(1366هـ)، دلائل الإعجاز، مصر، دار المنار.

5- الباقلاّني، محمّد بن الطّيب أبو بكر ، (د.ت)، إعجاز القرآن، مصر، دار المعارف.

6- الباقلاّني، محمّد بن الطّيب أبو بكر ، (1957)، كتاب التّمهيد، بيروت، المكتبة الشّرقيّة.

7- ابن الأثير، (د.ت)، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، القاهرة، دار نهضة مصر.

8- المنجد، محمد نور الدين ، (1417)، التّرادف في القرآن الكريم بين النّظريّة والتّطبيق، دار الفكر.

9- الفخر الرازي، (د.ت)، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

10- العبادي، أحمد بن قاسم ، (1983)، رسالة في اسم الفاعل، عمان، دار الفرقان.

11- ابن جني، (1986)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دار سزكين.

12- ابن الحاجب، (1995)، كتاب الكافية في النّحو، بيروت، دار الكتب العلمية.

المقالات:

1- يحي عطي، عبابنة(1992)، (أثر التّحويلات الأسلوبيّة في تغيير الإعراب في الآيات القرآنيّة والشّواهد الشّعريّة)، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللّغويّات، العدد الحادي عشر، ص10.